دو فصلنامه مطالعات ادب اسلامی | نصف سنوية دراسات الأدب الإسلامي
دوره ۲، شماره ۳، پیاپی ۵، پاییز و زمستان ۱۴۰۲ | السنة ۲، العدد ۳، التسلسل ۵، خريف وشتاء ۲۰۲۳

جماليّة قيم الأسرة الإسلاميّة في مرآة "مجمع الأمثال" للميداني

حميدة صالحي[۱] (خريجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قم، ایران)
علي خالقي*[۲] (الأستاذ المساعد، فرع تعليم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنكيان، طهران، ايران)
ناظم نعيم كاظم الفرحان[۳] (الماجستير في اللغة العربية وآدابها)

DOI: 10.22034/JILR.2024.140075.1109
تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۹/۲۷ | صفحات: ۱-۲۳ | تاريخ الوصول: ۲۰۲۳/۱۲/۱۸
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۱۲/۲۵ | تاريخ القبول: ۲۰۲۴/۰۳/۱۵

الملخص

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فلذلک حظيت بعناية فائقة في الإسلام بحيث تعدّ الأولاد والزوجة أمانة يسأل عنهم الزوج كما أنَّ للأسرة والزواج والإنجاب وما يتعلّق بها مكانة بارزة في الثقافة العربية ولديها تقاليد وسنن اختصّت بها. إضافة إلى ذلک يكتنز التراث العربی بأمثال وحكم في مجال العلاقات الأسرية لأسباب أنتجتها ومناسبات اقتضتها فصار المثل الذي يضرب في أمر من الأمور كالعلامة التي يعلّم بها الشيء وذلک لإيجازها وشدّة اختصارها. ترجع أهمية توظيف المثل واستلهامه في الكلام إلى كونه بمثابة العرف الذي تعارفت عليه مجموعة من النّاس باعتباره من الحجج التي نقوى بها ما ارتاحت إليه ضمائرنا واستقرّ في أذهاننا من مواقف لأنّ الأمثال تتجلّى فيها صفة العقل والحكمة ويعدّ المثل شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبه وثمرته. فلذلک كلّه تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة الأسرة في الأمثال العربية القديمة والوقوف على القضايا والمعاني التي يتناولها العرب. فاستعان الباحث بالمنهج الوصفي-التحليلي لتسليط الضوء على مضامين الأمثال ودلالتها للكشف عن صورة الأسرة والعلاقات الأسرية وسائر القضايا المرتبطة بالأسرة كالزواج والطلاق والخيانة وكانت بعض نتائج البحث تشير إلى وجود أمثال في اللغة العربية تمجد مكانة الزواج والأسرة كما تشير إلى وجود نُظُم وأصولٍ وتقاليد التزم بها العربي في حياته الاجتماعية واهتمامه الخاصّ بتعدد الزوجات وذلک من أجل كثرة إنجاب الذرية وعلاقته الوثيقة ببنى أعمامه وأخواله وذلک شيء اقتضته الحياة الصحراوية.

الكلمات المفتاحية: أسرة، الإسلام، الحياة العائلية، الأمثال، النثر

---

۱ البريد الإلكتروني: h.salehi0250@gmail.com
۲ الكاتب المسؤول؛ البريد الإلكتروني: akhaleghi24@yahoo.com
۳ البريد الإلكتروني: m.fakhri2718@gmail.com

زیبایی‌شناسی ارزش‌های اسلامی خانواده در آیینه مجمع الأمثال میدانی

چکیده

خانواده سنگ بنای اولیه ساختار اجتماعی است، به همین دلیل در اسلام به شدت به آن توجه شده و فرزندان و همسر به عنوان یک امانت برای همسر محسوب می‌شوند. همچنین، در فرهنگ عربی، خانواده، ازدواج و تولید فرزندان و موارد مرتبط با آنها جایگاه ویژه‌ای دارند و دارای سنت‌ها و آداب خاصی است. علاوه بر این، ادبیات عربی با امثال و حکم در زمینه روابط خانوادگی غنی شده است که به دلیل رخدادها و مناسبت‌های مختلفی که ایجاد کرده‌اند، معمولاً از آنها استفاده می‌شود. اهمیت استفاده از امثال و حکم در گفتار به این دلیل است که آنها به عنوان رسوم و تقالیدی شناخته شده‌اند که به آنها اعتماد می‌شود و برای اثبات نقاط نظر یا ایده‌ها مورد استفاده قرار می‌گیرند. بنابراین، این مطالعه به منظور بررسی تصویر خانواده در امثال عربی قدیمی و بررسی مسائل و معانی مورد توجه عرب‌ها انجام شده است. محقق از روش توصیفی-تحلیلی استفاده کرده تا با بیان مضامین امثال و نشانه‌های آنها، به بررسی تصویر خانواده و روابط خانوادگی و مسائل مرتبط با خانواده مانند ازدواج، طلاق، و خیانت بپردازد. برخی از نتایج تحقیق نشان می‌دهد که امثالی در زبان عربی وجود دارند که مکان ویژه ازدواج و خانواده را تحسین می‌کنند و نشان می‌دهند که عرب‌ها در زندگی اجتماعی خود به اصول و سنت‌های خاصی پایبند بوده‌اند، از جمله توجه به ازدواج چندگانه به منظور افزایش تولید فرزندان و رابطه نزدیک با فرزندان عمو و دایی که یک نیاز اساسی برای زندگی در بیابان است.

کلیدواژه‌ها: خانواده، اسلام، زندگی خانوادگی، ضرب المثل، نثر

المقدمة

الأسرة هي أوّل نظام اجتماعي عرفه الإنسان، تعتمد على القيام بالوظائف التي تؤديها النظم الاجتماعية المعاصرة، مع التغير الاجتماعي الذي صاحب البشرية في مراحلها المختلفة كانت الأسرة باختلاف أشكالها ووظائفها عبر مختلف الحقبات التاريخية من أكثر النظم الاجتماعية تأثيراً وتأثراً بما حدث من تغيرات اجتماعية، وتبقى وحدها من تَكْفُل بقاء النوع الإنساني، وبالتالي أهميّة الدور الذي تقوم به الأسرة في تنشئة الأبناء، وإعدادهم للحياة الاجتماعية، لقيامهم في المستقبل بأدوارهم المتوقعة منهم، وذلك أن تماسك النسق الاجتماعي ودوامه رهن قيام الأسرة بوظيفتها السامية، تقوم بإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إياه متعمدا، وذلك بتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه، وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه، وغرس المعتقدات الشائعة فيه، فينشأ منذ طفولته عليه لتصبح من مكوّنات شخصيته الأساسية. فالأسرة في الواقع؛ هي وعاء الحضارة والثقافة في المجتمع، لأنها هي التي تحافظ على القيم والعادات والاتجاهات التي يمتصها الأبناء أثناء نموهم وتنشئتهم الاجتماعية، وعن طريق الأسرة يتعرف الطفل على أنماط السلوك التي يتبعها في حياته.

لقد اهتمّ الإسلام كدين كامل وشامل بكل جوانب الحياة البشرية وأنها تعبر عما يجب فعله وما لا يجب فعله في الحياة الكريمة. وقد أكدت التعاليم الدينية كثيرا على الأسرة، وتعتبر الدراسات الإنسانية المختلفة الأسرة مؤسسة اجتماعية رئيسة، وهي أساس المجتمعات ومصدر الثقافات والحضارات في تاريخ البشرية. ولاشكّ أن الأسرة لعبت دورا مهما في تنمية المجتمعات ولهذا السبب اهتمّ القرآن بهذه المؤسسة الاجتماعية وعبّر عن أهميتها الكبيرة، كما أن هناک أحاديث تتطرق إلى أمر الأسرة كثيرة، منها ما ينظم علاقة الأب بأولاده، وعلاقة الأولاد بأبيهم، وعلاقة الزوجة بزوجها والعكس إضافة إلى ذلک يجب أن نقول أن الإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، فيأخذ منها ويعطي لها، ويتفاعل معها ويبادلها المشاعر والأحاسيس، نظرا لكون الأسرة هي البيئة الأولى التي يوجد فيها الإنسان، وهي التي تشكل انطباعه الأول عن كل ما حوله، فقد فاضت قرائح الشعراء خاصة الشعراء الإسلاميين بالتعبير عن الإنسان وصلته بأفراد أسرته (الأب، الأم، الابن، البنت، الجدّ، الحفيد، العم) كما نجد أيضاً الأمثال و الحكم العربية تهتم اهتماما بارزا بالأسرة و العلاقات الأسرية. و لعلّ أهمّ ما يدفعنا لاختيار موضوع صورة الأسرة فی الأمثال العربية هو الاهتمام بمكانة الأسرة فی الثقافة العربية إضافة إلى أن

الأمثال و الحكم العربية مادة غنية لها قيمة أدبية و فنية والدراسات السابقة فى هذا المجال ضئيلة جدّاً. وهذا المقال يريد أن يجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما الميزات المهمة فى ما يتعلق بالأسرة التي أكّد عليها الميداني في "مجمع الأمثال"؟
٢. ما دور العائلة في العلاقات البشرية عند الميداني؟
٣. كيف يتم تقييم فاعلية العائلة الإسلامية في تربية الأولاد والبنات؟

خلفيّة البحث

إنّ البحث عن مجمع الأمثال في البلدان العربيّة قليل جدّاً و قلّما نجد مقالاً تكلّف البحث عنها، فبحثنا عن الميداني في إنترنت والمواقع الإلكترونية ولم نجد بحثاً مستقلّاً عنه وبما أنَّ هذا الموضوع لم يبحث عنه و يحقّق في بلادنا إيران، نحن قمنا بإيراد وبسط هذا العنصر الإبداعيّ الفنّيّ في مجمع الأمثال:

نشرت مقالة "الطبيعة في مجمع الأمثال للميداني"دراسة تحليلية" الكاتب: الساعدي، رحيم خريبط عطية؛ حسين جبر، عهود؛ صلاح وداي، الدكتور ميساء؛ مجلة: الكلية الإسلامية الجامعة، ذوالحجة ١٤٣٤، العدد ٢٤، صص ١١٥- ١٥٥. إنَّ هذا البحث عالج أنواع الصور الطبيعية التي تجلّت في مجمع الأمثال واستنتج من هذه المقالة أنَّ الميداني استخدم عناصر الطبيعة بين أمثاله متسقاً.كما طبع بحث «تحليل كهن الگوهای اسطوره زرقاء در مجمع الأمثال میدانی و نمود آن در ادب فارسی» الكاتب: شايكان مهر، محمد؛ محمد جعفرى، طاهره قلى پورزيبد، مجلة الدراسات في الأدب المقارن، الربيع ١٤٠٠ش، العدد ٥٧، صص ٤٠١ -٤٢٨. و يوجد بحث آخر بعنوان «المثاقفه وحوار الحضارات فى ظل الامثال والحكم» الكاتبة: زركوب، منصورة ؛ مجلة: دراسات في العلوم الانسانية » ربيع الثانى ١٤٢٨، السنة ١٤، العدد ٢.كذلك نشرت مقالة «دور الأسرة فى تشكيل الهوية الوطنية لدى الأفراد»، الكاتب: سعيد، مخلوفى ؛ مجلة دراسات (الجزاير)، السنة ٢٠١٦، العدد ٤٤. وهناك بحث آخر بعنوان اقتباس الحريرى فى مقاماته من الأمثال العربية» الكاتب: اسحق رحمانى، في مجلة: اللغة العربيه و آدابها، ربيع و صيف ١٤٣٢، السنة السابعة، العدد ١٢. الدلالات الاجتماعية و التربوية فى الأمثال العربية: بن محمد الحجوى، محمد ؛ مجلة آفاق الثقافة و التراث، شوال ١٤٣٠، العدد٦٧. فيما نبحث عن المواقع الإلكترونية للمجلات والرسائل أنَّ هذا الموضوع لم يبحث فيه حتّى الآن ويتطرق لمكانة قيم الأسرة الإسلامية في مجمع الأمثال للميداني.

البحث التطبيقي

العلاقات الزوجية

إنّ الأمثال من أبرز مكوّنات المنظومة الثقافية بما تحمل فی طياتها من انعكاسات عادات الناس وتقاليدهم ومعتقداتهم وثقافتهم الخاصة عليها كما تعكس الأمثال اتجاهات المجتمع و قيمه و مبادئه السائدة. للأمثال قيمة عظيمة فی حياة الشعوب و الأمم فهی تسهم فی بناءالوعی و فی تكوين الوجدان و تشكيل الشخصية الاجتماعية بما تحمله من قيم و تقاليد و طبائع و أخلاق علاوة علی أنها انعكاس للسياق الاجتماعی العام فهی تحمل مظاهر المجتمع و ثقافته و أفراده و طبيعته كما تعكس اتجاهات المجتمع و قيمه و مبادئه السائدة. فقد حظی المثل عند الناس بثقة تامة فهو ملخص مواقف سابقة و خبرة غابرة مرت بها الجماعة فصدقوه لأنه يسترشد فی حلّ مشكلة جديدة بخبرة متراكمة مكتسبة من مشكلات قديمة انتهت إلی درس مستفاد و عظة لاتنسی. أدت الأمثال دوراً اجتماعياً بارزاً فی مختلف المناسبات الاجتماعية كالأسرة و العلاقات الأسرية التی تبرز فيها العادات والتقاليد و الأعراف و تمتزج فيها الثقافات والتجارب ونتاج العقل الجمعی لأفراد المجتمع و ذلک يرجع إلی ما تمتاز به الأمثال من الإيجاز فإنها توفر علی المتكلم جهدا فی التفكير والصياغة لما يريد قوله تحقيقا لمبدأ الاقتصاد اللغوی و إصابة المعنی المقصود بأقل كلفة إضافة إلی قيمتها الحجاجية باعتبارها دليلاً خارجياً أي من خارج كلام المتكلم فيكون أقوی فی التأثير و الإقناع فلذلک يرغب العربی في توظيف الأمثال فی مجالات مختلفة كالزواج والطلاق و الأقارب والعلاقات مع الأقارب ترغيبا فی ما يطلبه أو ترهيبا عما ينفره. و قد نبه الحسن اليوسی إلی ذلک فی قوله: فلا يخفی علی ذی ميز و لا يشتبه علی ذی لب ما جعل الله تعالی فی المثل من الحكمة و أودع فيه من الفائدة وما ناط به من الحاجة فإن ضرب المثل يوضح المبهم و يفتح المنغلق و به يصور المعنی فی الذهن، يكشف المعمّی اللبس و به يقع الأمر فی النفس حسن موقع و تقبله أفضل قبول وتطمئن به اطمئناناً.

بما أنَّ الأمثال تحث السامعين علی الإيمان بفكرة معينة أو الاقتناع بمبدأ معين أو القيام بفعل معين فهی مؤثرة فی سلوک الناس وتصرفاتهم فذلک تعدّ الأمثال مصدراً موثوقاً لدراسة ما يدور فی أذهان الناس وأفكارهم حول بعض الموضوعات الاجتماعية كالأسرة و الزواج و ... كما أن دراسة الأمثال قد توضح لنا أسباب و دلائل لما يقوم به الناس ويعزم عليه في ما يخصّ الأسرة والعلاقات الأسرية كما تكشف عن العوامل الثقافية والبيئية الموثرة فی هذا المجال.

الزواج و تقاليده

كان العرب «يهتمون أيما اهتمام بالأعراس والتجهيز لها وذبح الذبائح وفرش الأبسطة وتجهيز العروس وتأثيت أثاث الزوجية وتزيين العروس وتطيبها ومصاغها وإعلان القبائل الأخرى بالعرس ودعوة رؤوس القبائل وعلية القوم للعرس وكانوا يتباهون بفخامة الأعراس لأنها كانت تدل على علو شأن القبيلة وشرفها» (الترمانينى، ١٩٩٦: ١١٥) وكان نساء القبيلة يقمن بتصليح العروس كما وجدنا في ذيل قصة المثل: «**ثكُلٌ أرْأمَهَا وَلَدًا**، حيث يقول مر بيهس: بنسوة من قومه يُصْلِحْنَ امرأة منهن يُرِدْنَ أن يُهْدِينَهَا إلى بعض القوم الذين قتلوا إخوته» (الميدانى، ١٩٩٥: ١٥٢/١) وكان العرب يزينون وجه العروس بالرسم عليه بنقاط ملونة كنوع من الزينة وكانت هذه النقط المرسومة تزول عند أول طهور (المرزبانى، ١٩٩٥: ٢٠٦) لذلك جاء في الأمثال: «**نَقْطُ عَرُوسٍ وَأَبْعَارُ ظِبَاء**» (الميداني، ١٩٩٥: ٣٤٠/٢) توصيفا لشيء يزول جماله بسرعة ولا يستمر مدة طويلة.

فالعروس قبل زفافها تزين وتعطر وتلبس أحلى الثياب ويتم إرسالها إلى زوجها في موكب من أهلها وخاصتها تكريماً لها وإشهاراً للزواج بينها وبين زوجها، وكان من هذه العادات أن لا ترافقها أمها لإيصالها إلى دار زوجها كما قرأنا في قصة المثل: «**لاتَعْدَمُ الحَسْنَاء ذَاماً**» (نفس المصدر، ١٥٠/٢)

وفي إحدى روايات المثل: «**لا مخبأ لِعِطْرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ**» يحكى أن عروسا أهديت إلى زوجها وبعد أن بني بها وجد رائحتها كريهة فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته، فقال لها: «**لا مخبأ لِعِطرٍ بَعْدَ عَرُوس**»، وأصبحت هذه العبارة مثلا في ذم ادخار الشيء وقت الحاجة إليه (نفس المصدر، ٢١١/٢) فكما وجدنا في المثلين لم تهتم العرب بالحلي والخضاب وسائر أنواع الزينة، كما اهتمت بالطيب والعطر.

ومن إحدى عاداتهم عند الزفاف التجمير وهي تبخير ثياب العريس بالطيب فوجدنا ذيل قصة المثل: «**صبراً عَلَى مَجَامِرِ الكِرَامِ**» (نفس المصدر، ٣٩٣/١) ضمن الإشارة إلى هذه العادة يكاد يختصر الميداني أكثر طقوس الزواج فجاء في قصة المثل: إن أعرابياً قدم الحضر بإبل فباعها بمال جمٍّ وأقام لحوائج له، ففطن قوم من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب والكمال طمعاً في ماله، فرغب فيها فزوجوه إياها، ثم إنهم اتخذوا طعاما وجمعوا الحي، وأجلس الأعرابي في صدر المجلس، فلما فرغوا من الطعام ودارت الكؤوس وشرب الأعرابي وطابت نفسه أتوه بكسوة فاخرة وطيب، فألبس الخلع ووضعت تحته مجمرة فيها بخور لا عهد له بذلك وكان لايلبس السراويل، فلما جلس عليها سقطت مذاكيره في المجمرة، فاستحيا أن يكشف ثوبه وظن أن تلك سنة لا بد

منها، فصـــبر على النار وهو يقول: صـــبراً على مجامر الكرام فذهبت مثلا وارتحل الأعرابي إلى البادية وترك امرأته وماله فلما قصَّ على قومه ما أرى قالوا: «**أسْتُ لَمْ تُعَوَّدِ المِجْمَرَ**» فذهبت قولهم مثلا فكما جاء في القصـــة من طقوس حفلة الزفاف هي إقامة المأدبة واجتماع أهل الحي، وجلوس العريس في صـــدر المجلس تقديم الطعام والشـــراب، إتيان الثياب الفاخرة للعريس، والطيب لتبخير الثياب أي "التجمير" ولما حدث للأعرابي واضح أن هذه العادة من عادات أهل الحضر وهو كان جاهلاً بها.

وكان لبس الثياب الجديدة ووضـع العطر و الطيب بمثابة إعلان الزواج وإشـهاره بين الناس وهكذا نبّه جذيمة بزواج عدى بأخته كما نقرأ فى ذيل قصـــة المثل «**كبُر عمروٌ عن الطّوق**» وقد لبس عدى ثيابا جددا وتطيب فلما رآه جذيمة قال: يا عدىّ ما هذا الذى أرى؟ قال: أنكحتَنى أختَکَ رقاشِ البارحة» (الميداني، ١٩٩٥: ٢/ ١٣٧) فبمجرد سماعه لهذا الخبر يغضب جذيمة على عدى و يجعله يهرب خوفا على نفسه وحياته.

وفقا لما جاء فى بعض المصادر القديمة أن المبالغة في تزيين العروس وتجهيزها بلغت ذروتها في العصر العباسي حتى ظهر سوق في بغداد سمي: "سوق العروس" وكان هذا السوق لتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس (ثعالبي: ص٣١٩)، فذلك نشـرت في الأمثال: «**أحسـن من سـوق العروس؟**» (نفس المصـدر، ٢٢٨/١) وكان للعريس منزلة كبيرة عندهم ولعزته في نفســـه وأهله يقول المثل: «**كاد العَرُوسُ يَكُونُ مَلِكا**» (نفس المصـدر، ٢/ ١٥٨) والعروس نعت، يسـتوي فيه الرجل والمرأة ما داما في إعرابهما ولا تكاد تسـتطيع أن تفرق بينهما إلا من خلال سـياق الكلام لنعرف هل الكلام عن الذكر أو الأنثى، يذكر الأصمعي أن البعض من البدويين كانوا يعتقدون أن هذا المثل آية من آيات الله فيقول: أصابتنا السماء بالبدو فنزلنا بعض أخبية بني نعيم، وفيهم عروس فلما حضـرت الصـلاة قدموه فصـلى بهم، وكان ذلك سـنتهم أن يقدموا العروس سـبعة أيام، فقلت لهم: ما هذه السـنة؟ قالوا: أو ما سمعت الله يقول: كاد العروس أن يكون ملكاً» (الآبى، ٢٠٠٤: ٦/ ٢٩٦).

وكان من عادات العرب قديماً ألا تخرج العروس من منزلها خلال الأيام الأولى للزواج لأنهم كانوا يتشـــاءمون من هذا، ولكن وجدنا من الفتيات من احتالت على هذه العادة وخرجت في أســـبوعها الأول بحجة زيارة أحمائها وعندما أخذوا عليها قالت:«**أزورُ أحْمَائي لِيَعْرِفُوني**» (الميداني، ١٩٩٥: ٣٢٣/١)، فكأنها تريد أن تبدى مظاهر الجدارة واسـتحقاقها وقوتها لدى أحمائها ليروا منها ما يردعهم، ويقول الميداني أنها تنوي من قولها هذا تهديدهم والاســـتهزاء بهم، فعلى ذلك لابد أن تنتمي الكنة إلى أسرة حسبها أكبر من حسب أسرة الرجل حتى تتجرأ على مثل هذا التصرف.

دور الزوج والزوجة في الحياة الأسرية

الزوج هو الرجل المقترن بالمرأة، والمرأة المقترنة بالرجل كل واحد منهما سمي زوجا، لأن كل شـيء قرين صـاحبه يكون زوجا له، ويقال للاثنين هما زوجان، والزوج خلاف الفرد، كما تقول الشـفع والوتر، وهناك مفردة أخرى مرادفة لمعنى الزوج هو البعل. جعل الليث مرد تسـمية الزوج بعلاً إلى الاسـتعلاء، وهو الشـدّة والغلظة والقوة ويجعل الأزهرى هذا من أغاليط الليث؛ إذ سمي الزوج بعلاً لأنه سـيد المرأة ومالكها وليس من الاسـتعلاء في شـيء» (الأزهرى، ١٤٢١: ١١/ ١٠٤) ولعلّه يمكن القول إنه من اعتبر قول الليث هذا من الأغاليط، قد وقع في الخطأ لأن القوي والمسـتعلي يملك الآخر، ومفردة الزوج من المنظور اللغوي بمعنى الصـاحب والقرين لكن دور الزوج في الحياة الزوجية بصـفته عمودا للبيت يتطلب القوة والاسـتعلاء رغم أن هـذين المفهومين لم يكونا في المعنى اللغوي لمفردة "الزوج" ولكنـه في دوره الاجتماعي من أهم لوازمه.

فوجدنا في الأمثال العربية القديمة وجود الزوج في الأسـرة هو صـمام أمان بينها وحماية لها؛ فيرى العربي أنَّه لم يخلق الرجال إلا ليكونوا أسودا في عرينهم ويحموا أهلهم من عوادي الليل ومن غدر الناس؛ فجاء في المثل:«**أهلك وَاللَّيلَ**» (الميدانى، ١٩٩٥: ٥٢/١) فيشـجع الزوج في المثل بأن يعود إليهم قبل ظلام الليل ليحافظ عليهم، وفي مثل آخر يلبس على المفهوم لباسا آخر ويقول: «**أهْلَكَ فَقَدْ أَعْرَيتَ**» (نفس المصـدر، ٦٢/١) أعريت أي دخلت في العرية أي الريح الباردة. وإنّها تهب بعد مغيب الشـمس، فأعريت كناية لدخول الليل وحل الظلام، فيذكره بأهله ويقول: بادر أهلك وعجل رجوعك إليهم فقد دخلت في الريح الباردة.

يمدح العربي الرجل الذي يفضل أهله على الآخرين وقضاء حاجاتهم أول ألوياته فوجدنا في الأمثال يطلب من أحدهم المساعدة فهو يرد قائلاً:«**شَغَلَتْ شِعَابِي جَدْوَاى**» (نفس المصدر، ٣٠٨/١) والشعاب مسـيل الماء في بطن الأرض (ابن منظور، ١٤١١: ١/ ٤٩٩) والجدوى بمعنى المطر فالقائل يصـور صـورة نزول مطر قليل في الشعاب وأن الشعاب استوعبت المطر لأنه قليل وبذلك لم يتمكن المطر أن يفيض من الشـعاب إلى الأودية والسـهول، وهكذا يعتذر من ترك الجود والإفضـال على أن أهله واحتياجاتهم تشغله عن الإنعام على الناس.

وفي المقابل بعض الرجال لا يقومون بهذه المهمة التي هي من مسـؤولية الرجل ولا ينفقون على أسرهم ولا يحلون مشـاكلهم ولا يهتمون بشـأنهم وصـلاحهم وما يعترضـهم من مشكلات الحياة، ويعتبر هذا من مسـاوئهم ويقال في المثل: «**ما يَقُومُ برَوْبَةِ أَهْلِهِ**» (الميداني، ١٩٩٥: ٢/ ٢٩١) وروبة اللبن خميرة

تلقى فيه من الحامض ليروب ومجازا يطلق على الحاجة روبة (الزبيدى، ١٤١٤: ٢/ ٤٤) ويرتجى من الزوج حسن المعاشرة والكلمة الطيبة والعناية بأهله بل هو من شيم الأخلاق الرفيعة أن يكون الرجل حنونا على أهله وزوجته، وأن يعاملهم المعاملة الحسنة التي تليق به وبهم فقال النبي (ص): «**خياركم خيركم لأهله**» (الميداني، ١/ ٢٤٨) والرجل يطرح الوقار وحشمة يعرف بها الناس يهابونه بسببه عند باب بيته، ويتصرف بتلقائية كما يتصرف الصبي وجاء في الأمثال: «**كل امرئ في بيته صبيّ**» (نفس المصدر، ٢/ ١٣٤)، ولو حمل الرجل رزانته وجديته في البيت كما يحملها في الخارج لأصبحت البيوت أقرب للسجون منها للبيوت.

وإن يصل سوء خلق الرجل إلى الحد الذي يجعل أهل بيته وهم أقرب المقربين له أن يعتزلوه فهذا أولى لباقي الناس أن يتركوه كذلك، وشبه في الأمثال مثل هذا الرجل بماء آسن كل من يتذوقه يبصقه ولا يتحمله فيقول:«**صَرَاةُ حَوْضٍ مَنْ يَذُقْهَا يَبْصُقِ**» (نفس المصدر، ١/ ٤٠٧) .

وجود الرجل في حياة المرأة العربية هو ضرورة حياتية قصوى في ذاك المجتمع القاسي فنقرأ في إحدى روايات المثل:«**أجبَنُ مِنَ الْمَنْزُوفِ ضَرطة**» (نفس المصدر، ١/ ١٨٠) أن نسوة لم يتزوجن فكان يشق عليهن في قضاء حوائجهن في مجتمع يعتمد على الرجال فزوجن إحداهن من رجل توسمن فيه خيراً ليعتمدن عليه فيحميهن أو يمنعهن، لكن خاب ظنهن فيه لأنه وقتما شعر بالإغارة عليهم لم يدافع عنهن ومات خوفا ونزعا، و تهكما عليه استخدموا كلمة "المنزوف" أي الذي يسيل دمه حتى يفرط.

الزوج دستور الأسرة وهو من يتطلع له كل أفراد الأسرة في كل أقواله وأفعاله فوجدنا في الأمثال امرأة تشتكي الجيران تزوجها يخاطبها قائلاً:«**إذا أعْيَاكِ جاراتُكِ فعُوك عَلَى ذِي بَيْتِكِ**» (نفس المصدر، ١/ ٧٨)، أي إذا أعياك الشيء من قبل غيرك فاعتمدي على ما في ملكك وأقبلي وأحياناً يكون الزوج قاسياً في إرشادهم وتأديبهم ويريهم عين عقابه حتى ينتبهوا لحالهم ويستقيموا في أمورهم فجاء في الأمثال: «**علق سَوْطَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ**» (نفس المصدر، ٢/ ٢٨) ، وفي مثل آخر جاء: «**لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ**» (نفس المصدر، ٢/ ٢٣١) وظاهر المثلين يحث على التأديب بالضرب، لكن بما أن هذين المثلين من الأحاديث النبوية وعلى أن النبي (ص) لم يأمر أحدا قط بذلك في المثل الأول المقصود من المثل: اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم وفي المثل الثاني يعتقد الكسائي أنه ليس المقصود من العصا التي يُضرب بها بل المقصود الحثّ على تأديب الأهل والأسرة، لكن أبوعبيد يقول إنَّ أصل العصا الاجتماع والائتلاف (ابن منظور، ١٤١١: ١٥/ ٦٧)، فعلى هذا الأساس يكون قصد الهادي: لا تغب ولا تباعد عن أسرتك، فالعناية والرعاية هي أهم واجبات

الرجل تجاه أسرته ومن يرعى وهي تتحقق بالمداومة والملازمة لهم وأيضا النصح والإرشاد الدائم وعدم الغفلة عنهم في كل وقت وحين كما وضحنا في المثل: «**أهلك والليل**».

من أهمّ ميزات الرجل العربي أن يتحلى بزينة الشجاعة والبطولة فكلما كان أكثر شجاعة صار أكثر مهابة والناس يقدرونه أكثر لأنَّه حصن رصين لأهله وزوجته، والمرأة تفتخر بمثل هذا الزوج وبعض النساء يحاولن أن يكثرن من مبالغتهن في شجاعات أزواجهن فخرا أمام باقي النساء، فوجدنا في الأمثال أن رجلا قدم من غزوة فأتاه جيرانه يسألونه عن الأخبار فأخذت زوجته تتحدث عن البطولة الفائقة والشجاعة النادرة التي أظهرها زوجها في الغزوة وأنه قتل من القوم كذا وأسر منهم كذا وجرح كذا، والرجل صامت لا يتكلم فقال ابنها متعجباً: «**أبي يَغْزو، وأُمّي تُحدِّثُ**» (الميداني، ١٩٩٥: ١/ ٤٩)

أمّا الزوجة بصورة عامة فهي المسؤولة عن البيت وعن تدبير احتياجاته وعن تربية الأولاد والاهتمام بحاجات زوجها والرجل العربي في بيته هو مثل شهريار في قصره، فوجدنا ذيل المثل:«**أَجْبَنُ مِنَ الْمَنزوفِ ضَرطا**» (نفس المصدر، ١٨٠/١) أن رجلاً عندما يستيقظ من النوم يجد فطوره جاهزا وامرأته تنتظره حتى يصحو ويأكل الفطور.

إنَّ الودّ والعطف هما أساس الحياة بين الزوج والزوجة ولكن اذا افتقدت الزوجة حب وحنان زوجها وافتقدت عطفه عليها تحتال وتحاول بكل الطرق أن تتودد إليه وتلاطفه وتشاغله حتى يعود إلى حجرها ولا يبتعد عن وكرها وتقول:«**إلّا حظيةً فلا أليّةً**» (نفس المصدر، ١/ ٢٠) أي إلا أكن حظية فلا أكن ألية أو مقصرة في طلب الحظوة بانتهائي إلى ما يهواه وقال أبوزيد:«**أنّه لذو حظوة لا يقال إلا فيما بين الرجل والمرأة**» (ابن سيده، ١٤٢١: ١/ ٣٥٣) وكما أن الزوج للزوجة منبع الأمان وفي المقابل هي لزوجها منبع الاهتمام ومنبع الحنان وموطن السكينة ففي أمثالهم يقول:«**المَرْأَةُ فَرَاشٌ فَاسْتَوثِروه**» (الميداني، ١٩٩٥: ٢/ ٣٢٧)، وتوصيف المرأة بالفراش تعبير مهذب عن حالة اجتماع الرجل بالمرأة حيث تكون المرأة كالفراش لزوجها.

وجدنا في الأمثال يحكى الزوج والزوجة لبعضهما تفاصيل يومهما وما غاب عن كل منهما كما وجدنا ذيل المثل: «**لَمْ تُفات فهاتي**» أن العربي بعد سفر يعود إلى أهله فتقول زوجته له: لو شهدتنا لأخبرناك وحدثناك بما كان فقال الرجل: «**لم يفتك ذاك فهاتي ما عندك**» (نفس المصدر، ٢/ ١٩٧)، أو ذيل المثل «**أسَاءَ سَمْعاً فأساءَ إجابة**» (نفس المصدر، ٣٣٠/١)، لما رجع الأب وابنه من الخارج يخبرها بما مر عليهما فخاطب الزوج زوجته قائلا: فضحني ابنك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا فقالت الأم:

إنما ابني صبي وهو بطرافة ينسب سوء تصرفات ابنه بوالدته قائلاً: «**أشبه امرؤ بعض بزّه**» والبزّ أي ثياب ويضرب المثل في مماثلة الشيء صاحبه والزوج أشبهه بأمه في الحمق.

العلاقة الوالدية

الوالدون تجاه الأبناء

إنّ الطفل هو الثروة الحقيقية للوالدين وهو ثمرة فؤادهما كما يقال: «**الولدُ ثَمَرَةُ الفُؤَادِ**» (الميداني، ١٩٩٥: ٣٨٢/٢)، و«**أحلى من الولد؟**» (نفس المصدر، ١/ ٣٤٣) وكانت العرب تحثّ على حب الأولاد والتفاني في حمايتهم، وكانوا يستنكرون على الأب والأم ممن تظهر عليهم دلائل القسوة ضد أبنائهم حتى إنَّ العرب دللت على أن حب الأبناء غريزة أصيلة في المخلوقات كما أن الخبارى وهو أحمق المخلوقات يحب أبنائه بالفطرة والمثل يقول: «**كل شَيء يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّ الحبارى**» (نفس المصدر، ٢/ ١٤٦)، وتعلق الآباء بأبنائهم لايعادله شيء ولا يرضى الأب بديلاً عن ابنه ولو جاءوا له بكل ثروات الأرض، والأبناء في نظر آبائهم هم الأجمل والأكمل والأروع في كل شيء، إنّه حب ألقاه الله في قلوب الآباء نحو أبنائهم، فيقول المثل:«**زيّن في عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدٌ**» (نفس المصدر، ٢/ ١٢٨) و هذا المثل يضرب فى عجب الرجل برهطه و عترته فجاء فى قصة المثل: يروى عن عمر بن عبدالعزيز أنَّه قيل له:لو بايعت لابنك عبد الملك مع فضله وشأنه ووَرَعه، فقال :لولا أني أخشى أن يكون زين في عيني منه ما يزين للوالد من ولده لفعلت، ثم توفي عبدالملك قبل عمر، رحمهما الله.قال الأصمعي :مرَّ أعرابي ينشد ابنا له، فقيل له :صِفْهُ لنا، فقال :دُنَيْنير، قال :فمضى فجاء بِجُعل على عنقه، فقيل له :لو قلت هذا لدلَلْناك عليه، قال :فأنشدنا:

نِعْمَ ضَجِيع الفتى إذَا بَرَدَ ال ... ميل سُحَيْرَاً وقَفْقَفَ الصَّرِدُ
زَيَّنه الله في الفُؤَاد كما ... زُيِّن فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُ

وعلاقة الأبناء بالآباء هي أقوى علاقة نشأت على الأرض منذ بدء الخليقة وكان من الضروري أن تكون هكذا لأنها ضمنت بقاء الجنس البشري على الأرض، ووجدنا في مواقف الخطر الشديد والحروب والإقبال على الموت لحظات حزينة فكما ليس في الوجود شيء أحب إلى الأب من أبنائه وكذلك أخوف عليهم منه أن يتيتموا ويتشردوا من بعد موته، ونقرأ في ذيل المثل: «**بأبي وجوه اليتامى**» يقف الأب مع : نفسه ويتأمل أبنائه بأسى ويشفق على حالهم وما سيصيرون إليه بعد مماته، ويتمنى لو أمكنته الأقدار من العيش ورعايتهم فترة أطول و يقول أفدي بأبي وجوههم (نفس المصدر، ٢/ ١٢٨)

القدر والأولاد مختلفون في الطباع والمواهب ومع ذلك لم يكن يسع الأب إلا أن يحب أولاده كلهم دون أن يفضّل أحداً على أحدٍ، ونرى في ذيل المثل: «**أقرى مِنْ آكِلِ الخبز**» سئل آكل الخبز عن أحب أبنائه إليه فأجاب: الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ (نفس المصدر، ٢/ ١٢٨)، دون أفضلية أحدهم على الآخر.

وفي قانون الأسرة الأب هو المسئول الأول عن رعاية الأبناء وحمايتهم، بل والاستفسار عن أحوالهم في حال سفرهم وترحالهم والقيام على كل أمورهم، يستوي في ذلك كبيرهم وصغيرهم، وأغلى الأبناء على الآباء هم الغائبون حتى يرجعوا إلى حضن آبائهم، فإذا غاب الابن، التمسه والده وسأل عن أخباره ولا يكاد يغمض له جفن حتى يرجع الغالب من أولاده، فعاطفة الأبوة تجعل حنينه إليهم لا يقاوم كما نقرأ في ذيل المثل: «**أسعد أم سعيد**» أن الأب كان ينتظر ابنيه فعندما أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: "أسعد أم سعيد؟" (نفس المصدر، ١/ ٣٢٩).

يعتبر والحياة الأسرية هي مدرسة فيها الابن هو التلميذ والأب هو المعلم، ، فالأب ابنه هو وارثه في كل شيء فهو وارثه في اسمه وفي تجارته وفي أمواله، وهو وارثه في كونه رجل الدار في غيابه أو بعد موته، فكان لابد لعلاقة الإرث هذه، من مهارات وخيرات يجب أن يتعلمها الابن، وكان الأب لا يقصر في تعليم ابنه كل خبراته وتجاربه الحياتية بأمانة بالغة وصبر، فنراه يأخذه منذ نعومة أظفاره معه في سوقه وتجارته ورعيه ووديانه وحتى في أسفاره وغزواته حتى ينقل له ببساطه الخبرات التي تجعل منه رجلا يعتمد على نفسه ويعتمد عليه. كما وجدنا ذيل المثل: «**أَسَاءَ سَمْعاً فأَساءَ اجَابَةً**» (الميداني، ١/٣٣٠) أن العربي يأخذ ابنه حديث السن ويمر معه على أصدقائه، أو وجدنا أن الراعي الصغير يعود إلى البيت قبل أن تتعشى الناقة بحجة أنها أبت العشاء فيقول: «**العَاشِيَةُ تَهِيجُ الآبية**» (نفس المصدر، ٢/ ٩)، والعاشية: التي تتعشى، تهيج أبي العشاء فيتعشي معها، ويعلمه كيف يرعى النوق على أكمل وجه. وكان من الظواهر المنتشرة في الجاهلية ظاهرة خصاء الرجال الأسارى في الحروب بدافع الانتقام والإذلال، فمن كان عنده ولد وخصي بعد ذلك فإن ولده هذا يكون أعز ما يملك لأنه بالطبع لن يستطيع أن يعوضه فيقول المثل: «**أعزّ مِنْ ابْنِ الخصِي**» (نفس المصدر، ٢/ ٥٤).

رغم حرص العربي على ولده فيهتم برعايته لكي يكون عونه في الرخاء والشده ويمنعه من أعدائه . ويفتخر به، إلا أن الوعد وكلمة الشرف كانت أولى أن يفي بها ولو على رقبة ابنه ففي ذيل المثل: «**أَوْفى مِنَ السَّمَوالِ**» أنه عندما قايض الملك السموأل على قتل ابنه أو إخلاف وعده مع امرئ القيس ففضل قتل ابنه عن ذلك إخلاف وعده (نفس المصدر، ٢/ ٣٧٤). ومع أن فرحة المولود للأب هي أكبر

فرحة يصادفها في حياته ولا تكاد تدانيها فرحة أخرى، ومع وجدنا آباء يؤجلون هذه الفرحة ولا يبدون قدراً من السعادة بما فوجدنا ذيل المثل: «**غَرْثانُ فَارْبكُوا لَهُ**» دخل ابن لسان الحمزة على أهله وهو جائع عطشان فيشروه بمولود وأتوه به فقال: والله ما أدري أ أكله أم أشربه: ولكنه بعدما قضى وتره من الطعام والشراب قال: «**كيف الطّلا وأمُّه؟**» (نفس المصدر، ۲/ ۵۶).

كثرة الأولاد

كانت كثرة الأولاد تعد مقياسا للتفاضل بين الرجال. كان الرجل العربي يفتخر بأبنائه وخصوصاً الذكور منهم لأنهم درعه وسنده في الملمات والخطوب، فهو يربيهم ويرعاهم ويتعهدهم وينتظر منهم أن ينصروه عند الحاجة ويستقوي بهم عند الضعف فهي علاقة ثنائية تبادلية، والأبناء هم سلاح الأب ودرعه ويقول المثل: «**خيرُ سِلَاحِ الْمَرْءِ مَا وَقَّاهُ**» (الميداني، ۱۹۹۵: ۱/ ۲۴۵)، فالقائل استعار السلاح للأولاد فكلما كثر الأبناء الذكور في الأسرة كلما رافقتها المنعة والعزه.

وكذلك كانت كثرة الإخوان في بيئة مثل بيئة العرب التي لم تعترف إلا بلغة القوة والمغالبة والمكاثرة في انتزاع الحقوق اليومية، مدعاة للفخر والاعتزاز، فكلما كثر إخوان الرجل كلما أصبح مهاب الجانب يخشى الجميع منازعته في شيء أو الاعتداء على حق من حقوقه، فيقول المثل: «**مَنْ يَطُلْ هَنُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ بِهِ**» أي من كثر إخوته اشتد ظهره وعزه بهم (نفس المصدر، ۲/ ۳۰۰) ومثل ذلك أيضاً كثرة الأبناء والأعمام والأجداد كان مفخرة للعربي القديم وقلتهم مذمة ومنقصة له فيقول المثل: «**طَرَافَةٌ يُولَعُ فِيهَا الْقُعْدُدُ**» (نفس المصدر، ۱/ ۴۳۵)، والطرافة: مصدر، والطريف والطرف وهما الكثير الآباء إلى الجد الأكبر ويمدح به والقعدد نقيض الطرف أي قليل الآباء إلى الجد الأكبر ويذم به، وفي المثل أن قليل الآباء والأجداد انشغل بالطعن في الطريف وهو طعن في غير محله لأنه من الأدنى في صاحب الشرف.

وكان العرب قوماً يؤمنون بالملموس والأسباب ومع أنهم كانوا يحبون كثرة الأبناء إلا أنّهم ولأسباب اقتصادية كانوا يعتقدون أن هذه الكثرة مجلبة للفقر وأن قلتهم أوفر للمال واليسار في العيش، فكان صراعهم بين حب الكثرة وبين حرصهم على عدم إتلاف مالهم فيقول المثل: «**قِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَينِ**» (الميداني، ۱۹۹۵، ۲/۱۲۹)، اليسار الثاني كثرة المال، فيقول المثل إن قلة العيال مع الفقر كاليسار الحقيقي مع كثرتهم. والأمة الولود التي تلد لسيدها طفلاً كل عام كانت ترهق سيدها بالإنفاق على كل هؤلاء الأطفال فقيل: «**لن يُقلعَ الجدُّ النَّكِدْ إلا بجَدِّ ذي الإبِد في كل ما عامٍ تَلِد**» أي لن يقلع

جدُّ النكد إلا وهو مقرون بجد صاحب الأمة التي تلد كل عام وكون الأمة ولودا حرمان لصاحبها. (نفس المصدر، ٢٠٧/٢)

ورأينا أمراً نبوياً إلى المسلمين بأن يتوالدوا ويكثروا من الأبناء لأنَّه سيباهي بهم الأمم يوم القيامة و يقول: «**أكثروا من العيال فإنكم لا تدرون بمن تُرْزَقُون**» (نفس المصدر، ٤٥١/٢) دعوة لاقت صدى وارتياحاً واسعاً في أمة أصلاً كانت تحب كثرة الأبناء، لأنهم كانوا يعينونهم على قسوة الحياة ويتفاخرون بهم بين أقرانهم فلا يدري المسلم بأي أبنائه سوف يرزقه الله .

ورغم أنه كانت كثرة الأبناء والأحفاد مفخرة وقرة عين للآباء والأمهات، إلا أنه حدث أن امرأة ولدت رجالاً كثيراً ونساء وأحفاداً فاجتمعوا عليها وظلموها وقهروها فاغتمت لحالها وندمت على أنها أنجبت من ظلموها فقالت: «**عَلَيَّ فَاضَ مِنْ نَتَاقِي الأَلْبَةُ**» أي أنا التي فعلت هذا بنفسي حيث ولدت هؤلاء.

ملمح آخر عن كثرة العيال وجدناه في المثل:«**تَلَقَّاكَ سَبْعٌ وَلا تَلَقَّاكَ ذُو عِيالِ**» (نفس المصدر، ٣٢/٢)، فيبدو أنه كان أحد الكوارث الكبرى عند العربي وخصوصاً من اشتهروا بالكرم منهم في مجتمع كان يقدس قرى الضيفان، هو أن يكون الضيف ذا عيال كثير فيصعب على الكريم أن يضيفهم ويوفر لهم الطعام الكثير الذي يحتاجه الأولاد فبينوا أن ملاقاة السباع أهون عندهم من ملاقاة كثير العيال لما يسببه من حرج ومشقة لهم. وتجد من اشتكى أن كثرة النفقة على عياله أقعدته عن هذه المكرمة العظيمة و هى عطاء المحتاج والفقير يقول: شَغَلَتْ شِعَابِي جَدْوَاي (نفس المصدر، ١٥٠/١)، والشعاب جمع الشعب بالكسر و هو ما انفرج بين جبلين وقيل هو الطريق في الجبل (ابن منظور، ١٤١١: ٤٩٧/١)، والجدوى أي العطية والشعاب كناية عن كثرة المؤونة فيقول القائل: شغلت كثرة المؤونة عطائي عن الناس.

علاقة الأب والأولاد

كان الأب رب الأسرة دائماً وحاكمها ومشرعها وقاضيها، وهو من يربي الأبناء، و يسعى في التجارة ويرعى الأغنام ويحمي ويغزو، فهو عمود أسرته وهم يدورون حول فلكه، وأنه لا يكذب أهله كما يقول المثل: «**لا يَكْذِبُ الرَّائِدُ أَهْلَهُ**» (نفس المصدر، ٢٣٣/٢) والرائد هو المقدم في قومه أو الأمير عليهم أو الرجل في بيته فالرجل في بيته هو الذي يحمي ويرعى أسرته من كل مكروه وسوء، وحتى وإن كان الرجل كاذباً وماكراً مع الآخرين، فإنه أبداً لا يكذب أهله وأسرته لأنهم منه وهو منهم.

وكان مصروف وحوائج الحياة على عاتقه ويهتم بزوجته وأولاده في كل أحواله وجاء في المثل: «**هَلْ لَكَ فِي أُمِّكَ مَهْزُولَةً؟ قَالَ: إِنَّ مَعَهَا إِحْلاَبَةً**» يضرب في بقاء طمع الولد في إحسان الأم (نفس المصدر، ۳۹۰/۲)، لكن مقصودنا من ذكر هذا المثل في هذا المجال إشارة إلى "الإحلابة"كما يقول الميداني إنّما اللبن الذي يحلب في المرعى ويبعث به الحالب إلى أهله ليتقوتوا ويتقووا به. (نفس المصدر، ۳۹۰/۲)

وكان من الآباء من يجعل لابنه جعلاً شهريا ينفق منه الابن على ما يريد، ورأينا عند بعضهم ضيقاً وتذمراً من الإنفاق على بنيهم فنقرأ في ذيل قصة «**آكَل مِنَ السُّوسِ**» أن صفوان بن الأهتم يشبه ابنه بالسوس الذي يتلف المال، وعندما يسأل: كيف ابنك ؟ فقال: سيد فتيان قومه ظرفا وأدبا فقيل: كم ترزقه في كل شهر؟ قال: ثلاثين درهما فقيل: وأين يقع منه ثلاثون درهما؟ هلا تزيد وأنت تستغل ثلاثين ألفا فقال: الثلاثون أسرع في هلاك مالي من السوس في الصوف بالصيف. (نفس المصدر، ۸٦/۱)

وكان الأب شفيقاً بأبنائه لايأتيه النوم حتى يطمئن عليهم ولا يأكل حتى يشبعوا ولا يرتاح حتى يذهب عنهم البؤس والمرض، وعندما تأتي المحن والمرض والجوع يفعل الأب ما بوسعه ويحتال حتى يخفف عنهم ما يجدون، فيظل يسليهم ويخفف عنهم بكلامه حتى يطمئنوا وينامواكما نقرأ ذيل قصة المثل: «**أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ**»، إن حاتم يحكي لأولاده قصصا حتى يسليهم ليناموا ولا يشعروا بالجوع (نفس المصدر، ۱۸۲/۱)

من عادات الرجل العربي في السنة الماطرة الخصبة أن يخرج بأهله وولده إلى البادية لكي ينال من الخير والزرع الذي أنبتته الأمطار وجادت به البراري فوجدنا ذيل قصة المثل : «**هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ**» إن جذيمة يأخذ أهله في الربيع حتى يجتنوا الكمأة (الميداني، ۱۹۹۵: ۳۹۷/۲)، ووجدنا في الأمثال أن العربي عندما يبلغ أبنائه الحلم ويأنس منهم رشدا يخرجهم ليضربوا في الأرض في التجارة والصيد والحرب لعلهم يصيبوا مالاً أو غنيمة، فكان منهم من يرجع بالخير ومن يرجع بالخيبة، ولكنهم كانوا يعتقدون أن الحظ له عامل كبير في إصابة الخير وليس التعب فقط فوجدنا ذيل المثل: «**اسْعَ بِجَدِّكَ لا بِكَدِّكَ**» (نفس المصدر، ۳٤۰/۱)، إنّ حاتم بن عميرة الهمداني بعد ما يطلق سراح ابنه من الأسر في طريق تجارته ينصحه بهذا المثل.

وكانت الأيام تمضي بالأب في تربية أبنائه ورعايتهم حتى يشبوا عن الطوق وينظر إلى نفسه عندها فيرى العمر وقد تسرب من بين يديه وأصابه الكبر، فالأب يبدي حزنه وهو يرى أولاده وأحفاده حوله فرغم أنهم مصدر فخره إلا أنّه يعلم أنهم ما صاروا هكذا إلا بعد أن هرم وذهبت صحته فجاء في المثل: «**مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ**» (نفس المصدر، ۳۰۰/۲)، فنرى مشاعره متذبذبة بين الحزن والفرح. وعندما

يحتاج إلى أبنائه يقودون به الجمل حتى لا يسقط، فهو يتذكر بأسى أيام قوته وعنفوانه ويقول: «**لَقَدْ كُنْتُ وَمَا يُقَادُ بِي البَعِير**» (نفس المصدر، ١٧٩/٢). وكان حب الزعامة يسبق صلة الأرحام بين الوالد وبنيه فمن الحكمة التي جرت مجرى الأمثال والتي تقول: «**المُلْكُ عَقِيمٌ**» (نفس المصدر، ٣١١/٢) ، فالأب الذي يربي أبنائه وبرعاهم ويضحي بحياته من أجلهم قد ينقلب كل هذا في لحظة في حال كان هناك صراع على ملك أو زعامة. فالملك هو الشئ الوحيد الذي ينتهك الحرمات وصلات منعته بعض الرحم.

تربية الأولاد

من مهام الوالدين الأساسية تربية الأبناء وتأديبهم وتعريفهم بمكارم الأخلاق، فالأولاد هم مرآة الأب أمام الناس. وينمو الأبناء ويسيرون على خطى الآباء، وكان الابن في البيئة العربية تكرار لمسيرة أبيه وقطعة منه، تمشي على الأرض فلم تستغرب العرب أي تصرف يصدر من الابن يشابه سيرة أبيه، لأن عين الابن هي عين فاحصة ومراقبة لكل شيء يفعله أبوه وهو يقلد والديه في حركاتهما وسكناتهما، وفي الحقيقة هو يستنسخ سلوك والديه في حياتهما اليومية، فيضرب المثل لولد ينسج على منوال أبيه بـ : بَالَ فادِرُ فَبَالَ جَفْرُهُ (نفس المصدر، ٩٩/١)، والفادر: الموعل المبين والجفرة ولده والمثل تحذير للآباء وانتباههم لتصرفاتهم التي تسجل في ذاكرة الأولاد.

وكشف الأمثال أن العربي يحاول أن يكون ابنه نسخة منه عند غيابه فكان يوصي ابنه ويقول له: أنت رجل البيت في غيابي تحمي أمك وإخوانك وإخواتك وترعاهم بدلاً مني، حيث كان الآباء يغذون هذه النزعة في الأبناء فالولد في الأسرة العربية القديمة هو عوض أبيه فكلاهما أشبه ببعض وكلاهما عوض بعض فجاء في المثل: «**تَقَيَّلَ الرجلُ أباه**» (نفس المصدر، ١٤٣/١)، أي أشبهه . كلما كان الأبناء على خلق، احترم الناس والديهم وكلما فوتوا الفرصة، ينال الحاسدون والحاقدون من هيبة الأب وكرامته، ويحمل الآباء أمانة تربية أولادهم التربية الصالحة، فمن أدى منهم هذه الأمانة على وجهها الصحيح شب أولاده على الخلق القويم والتزام السلوك الحضاري الإنساني، فلا يجد حاسدوه ما يعيبونه فيهم، فيخستون ويُذلون وجاء في المثل: «**من أدَّبَ أولادَهُ أرْغَمَ حَسادَهُ**» (نفس المصدر، ٣٢٧/٢) وكانت الطرق التربوية تتغير حسب الأسر والمواقف وبما أن الأب هو دستور الأسرة، وهو من يتطلع له كل أفراد الأسرة في كل أقواله وأفعاله، لذلك كان من المهم أن يكون قاسياً أحيانا في إرشادهم وتأديبهم ويريهم عقابه حتى ينتبهوا لحالهم ويستقيموا في أمور تربيتهم وتلك حكمة عربية يروى عن النبي (ص)

ينصح الأب قائلة: «**عَلِّقِ سَوْطَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ**» أي اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم (الميداني، ۱۹۹۵: ۲۸/۲)، وأن تلوح بعصا الأدب من حين إلى آخر حتى لا يزيغ أي من أفرادها فالمثل يقول: «**لا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أهلك**» (نفس المصدر، ۲۳۱/۲)، والمعنى الظاهري للمثل أي اضربهم بالعصا، وحيث إن المثل من الأحاديث النبوية والمعنى الظاهري للكلام لا يوافق السلوك النبوي فلابد من تأويل الكلام، ويمكن اعتبار تأويلنا له إما أن تعتبر "العصا" استعارة من "التأديب" فالمقصود من المثل: «**لا تخل أهلك من التأديب**»، أو كما أولوا العصا في توهم انشقّت عصاهم " إذا تبعدوا وتفرقوا فالمقصود من المثل نهي الأب عن تباعده وغيبته عن أهله. والأب الناجح لا يكل ولا يمل من النصح لبنيه وإرشادهم وتكرار الخطاء والصواب على مسامعهم، فمع التكرار ومرور الوقت يتعودون على فعل الصواب فجاء في المثل: «**دَرِّب البهمَ بالرّمّ**» (نفس المصدر، ۲۶۹/۱)، أي عوِّدها الرميَ تدرب به، وهذا المثل يضرب في تأديب الرجل ولده، و بعضهم في مواقف يأخذون طريق الخدمة والتغرير بهم بأشياء بسيطة، فيقول المثل: «**إِنَّما يُخْدَعُ الصَّبْيَانُ بالزبيب**» (نفس المصدر، ۸۷/۱).

كانت العرب قديما لها نظام خاص في تربية الأولاد فقد كانت الأمهات الثريات والشريفات لايقمن بتربية أولادهن بأنفسهن بل يجلبن حاضنات يربين من أبنائهن، وكان يحدث كثيرا أن الحاضنة تكون أحن على الأبناء من أمهاتهم، فالحاضنة التي تصير على تربية الأطفال أفضل ألف مرة من الأم التي تسأم من تعبهم ! لذلك جاء في المثل: «**ظئرٌ رَؤُومٌ خَيْرٌ مِنْ أَمْ سَؤُوم**» والظئر أي الحاضنة والسؤوم أي ملول (نفس المصدر، ۴۴۵/۱). وكان العرب يدللون الصبيان ويترفقون بهم في صغرهم فإدراكهم قليل ومكتسباتهم عن الحياة المحيطة بهم لم تكتمل بعد، وربما تكلم الصبي الصغير بما لم يعلم وربما هيأ له خياله بعض الأشياء التي لم تحدث، ولذلك تجاوز العرب عن كذبات الصبيان وضربوا بها المثل: «**أكذبُ من صبي**» (نفس المصدر، ۱۹۹/۲)، أو أنهم يطلبون طلبات قد لا يمكن تحقيقها بأي حال ولكن لقصر مداركهم ولعدم نضوجهم يقولون أي شيء يخطر على بالهم تضربوا بهم المثل: «**أظْلَمُ مِنْ صَبِي**» (نفس المصدر، ۴۴۶/۱)، فلذلك يحذر العرب من التمادي في مداعبة الصغار وذلك لحمقهم وحداثة سنهم منهم ما يسيء فيقال: «**لا تُرِ الصَّبِيَّ بَيَاضَ سنكَ فَيُرِيكَ سَوَادَ اسْتِهِ**» (نفس المصدر، ۲۵۷/۲). وفي مفارقة نرى بعض الوالدين يحذرون أولادهم من الأخطاء التي يرتكبونها ففي المثل يقول: «**تنهانَا أمّنَا عَنْ الغي وتغدو فيه**» (نفس المصدر، ۱۲۷/۱)، وأصله أن امرأة كانت تؤاجر نفسها وكانت لها بنات تخاف أن يأخذن أخذها، فكانت إذا غدت في شأنها تقول لمن احفظن أنفسكن وإياكن ان

يقربكن أحد فقالت إحداهن هذا الكلام (الزمخشري، ١٩٨٧: ٢٧٢/١)، وذاع فصار مثلا لمن يحسن القول ويسيء الفعل.

نصيحة الوالدين

كان الأبناء يستقون معلوماتهم عن الحياة وخبراتهم بما يدور حولهم عن طريق الأب والأم. فالأم طول النهار تربي وترشد وتخبرهم إن هذا خطاء وذاك صواب، وذلك عن محبة حقيقية وعن خوفها عليهم، وربما ندم الابن على نصيحة نصحتها أمه له ولم يأخذ بها وعلم بعد فوات الأوان أن أمه صدقته في النصح وفي المثل يندم على عصيانه إياها ويقول: «**لِمَ وَلِمَه عَصَيْتُ أُمّي الكَلِمَةَ**» (الميداني، ١٩٩٥: ١٧٩/٢)، فكم من ناصح عند نصحه غير صادق ويستجلب ينصحه نفعا لنفسه إلا الأبوين وهما لا يريدان إلا الخير لأولادهما ويقول المثل: «**اسْمَعْ مِمَّنْ لا يَجِدُ منك بدّاً**» (نفس المصدر، ٣٤٤/١)، والمقصود من "من" في المثل الأب والأم.

وكانت الأم العربية هي المسئولة الأولى عن إرشاد وتأديب بناتها الصغيرات وإعطائهن من خبرات الحياة ما يعينهن على عيشهن ومستقبلهن في بيوت أزواجهن، وكان من أهم الأشياء التي تحافظ عليها الأم وتنصح بناتها العفة لهن، فوجدنا في الأمثال أما تعاتب ابنتها لأنها بالغت في إظهار تعففها بأن حذت التراب على أحدهم ممن ضايقوها فأفشت الأمر أمام الناس بفعلها وأخبرتها أن ستر أمرها هو أولى لها وقالت: «**الحصن أدنى لو تأيّيته**» (الميداني، ٢١٠/١)، أي قصدته، وفي سياق العادات الاجتماعية في جزيرة العرب وردت عادة حثو التراب بوجه المتحرش دلالة على احتقار صاحب هذا الوجه ومحاولة إبعاده ودليل المرأة على إظهار الحصن والعفاف (توفيق، ٢٠١٢: ٧٩)

وبما أن الأم هي مصدر المعرفة والإرشاد والتعلم لأبنائها وبنتاها وتخبرهم عن تجارب الحياة والصحيح والخطأ فكان من المستهجن أن تفرض البنت رأيها في أمر هي حديثة العهد به، وليس لها الخبرة الكافية ولا المعرفة عنه، بل كان يجب أن تترك الأمور لمن هي أعرف بها وهي الأم التي عركتها الحياة وعلمتها التجارب، فكان العرب يشبهون ذلك بفتاة يانعة تريد أن تعلم أمها الجماع وهي من قضت في الجماع دهراً وفق ما جاء فى المثل:«**كَمُعَلِّمَةٍ أُمَّهَا البضاع**» (الميداني، ١٩٩٥: ١٤٠/٢)

التبني

التبني في البيئة العربية القديمة كان من الأمور العادية والتي تقتضيها الضرورة في أحيان كثيرة، ففي مجتمع قائم على الكثرة والمغالبة والاحتكام إلى شريعة القوة والبأس، كان كثرة الأولاد هو الأساس الذي يتكئ عليه الرجل في صراعه اليومي مع بيئته ومع أقرانه، فلم يكن مستغربا أبداً أن يتبنى الرجل ممن هم ليسوا بأبنائه ويضمهم إليه بل ويعطيهم اسمه أيضا، وخصوصاً إذا كان عقيماً أو أبناؤه قليلين أو لا يلد إلا البنات. وكان العرب قبل الإسلام يمارسون التبني ويعتمدون على استلحاق أشخاص بنسبهم واتخاذهم أبناء هم يتساوي في ذلك من كان عقيما أو غير عقيم. وقد يكون المتبنون إما عبيدا لهم كما تبنى النبي (ص) زيد بن حارثة نفسه، أو قد يكونون موالي لهم مثل سالم بن معقل الذي تبناه أبو حذيفة فكان ينسب إليه (ابن الأثير، ١٩٩٤: ٣٨٢/٢)، أو ابن الزوجة كما فعل سامة بن لؤي مع ابن زوجته ناجية بن جرم أو طفلا منبوذاً كما فعلت أم برثن (البلاذري، ١٩٧٩: ٩/١). وكان التبني لا يقتصر على سن معينة فقد يستلحق الرجل بنسبه من هو صغير السن أو كبير حسبما تقتضيه الظروف المحيطة بهذا الوضع، بل يبدو من الشواهد أن المفضل لديهم هو استلحاق من كان كبير السن لمعرفتهم به وبمزاياه (الزويد، ١٩٩٩: ٤٥)

وكان الجاهليون يطلقون على الولد المتبني اسم "الدعيّ" وهو الولد المنسوب إلى غير أبيه (ابن منظور، ١٤١١: ٢٥٧/١٤)، إن الأمثال العربية القديمة لا تؤيد التبني وقبول انتساب ولد الغير وترفض التبني فمثلا يقال: «**ابْنُكَ ابْنُ بوحِكَ**». والبوح يعني: النفس أي ابن نفسك الذي ولدته، ليس من تبنيته (الميداني، ١٩٩٥: ١٠١/١).

إن الابن الحقيقي النسبي للرجل يشعر بالعصبية ويكون لاحقا بأبيه لذلك يناصره ويعينه، لكن المتبني لا يشعر بمثل هذه العلقة وربما يخذل من تبناه، وكما أن البوح لا يكون إلا بصدق من داخل الإنسان فكذلك لم تكن العرب تقبل أو تعترف إلا بالابن الصادق والخالص، ومهما كان درجة رعاية واهتمام الرجل بالابن المتبني إلا أنه لا يكون أبدا يمثل ابن نطفته. ويقول المثل: «**ابْنُكَ ابْنُ أيرِكَ لَيْسَ ابْنَ غَيْرِ لَهُ**» (نفس المصدر، ١٠٧/١)، والكلام هنا في منتهى الوضوح ويوضح رأي العربي القديم في التبني بكلام صادم، فابنك لا يكون إلا ابن منيك فقط الذي باشرت أمه في علاقة زوجية لا لبس بها وجاء نتاج نطفتك ورحمها، أما ما عدا ذلك من أبناء فلا يستحقون الاعتراف بهم. وكانت كثرة العيال وتعدد الزوجات في الجاهلية تفرض أموراً منها أن تتبنى إحدي النساء الموفورات الصحة أو القليلات الأولاد بعض أبناء الأخرى تخفيفاً لحملها رغم إن هؤلاء هم أبناء ضرائرهن إلا أن بعضهن أخلصن في

حب أبنائهن بالتبني، والضرة تستهزئ بما قائلة: «**وُلْدُكِ مَنْ دَمّي عَقِبَيْك**» أي من نفست به وصير عقبيك ملطخين بالدم فهو ابنك حقيقة لا من اتخذته وتبنيته وهو من غيرك (نفس المصدر، ٣٦٣/٢)، ويوضح المثل أنه يجب أن تكون الدماء التي تجري في عروق الابن هي نفسها الدماء التي تجري في عروق الأم لأن كل علاقة هي واهية أو مقطوعة إذا لم تكن علاقة دم، وتظهر هذه الأمثال جلياً النظرة الحقيقية للعربي القديم في موضوع التبني، ووجود هذه الأمثال لا يحول دون هذه الظاهرة، فكما أشرنا بسبب ظروف العربية الخاصة وحاجتها الماسة لقوة دفاعية فكانت فكرة التبني بينهم منتشرة.

ففي مقابل هذه الأمثال وجدنا أن بعض القبائل يعامل الابن بالتبني كأحد أفرادها ويلزم عليه أن يخضع قوانين القبيلة خاصة عصبيتها لأنها عامل مهم في دفع الفرد إلى تقديس القبلية ولحمة النسب والقرابة، فإذا نشبت الحرب بين القبيلة وقبيلة أخرى فالغريزة القبلية تجعل الرجل تلقائياً يقاتل من أجل قبيلته حتى الموت، فوجدنا في إحدى روايات المثل: «**أجبنُ مِنَ الْمَنزوفِ ضرطة**» (الميداني، ١٨٠/١)، أنه نشبت معركة ضارية بين الأب الحقيقي لسعد والقبيلة التي نشأ فيها، ظلما حتى الوطيس انحاز سعد إلى قبيلته ضد أبيه، وإنه اشتهر بسعد بن عجل وهو أبيه بالتبني.

ولكن بمجئ الإسلام تغيرت هذه العادات حيث منع الإسلام التبني لأن الجاهلي إذا تبنى أحداً ولدا، ذكراً أو أنثى، كان يلحقه بنسبه، ويأخذ اسمه، ويرث كل منهما الآخر، وكان يحرم الزواج من التبني مثلما يحرم من النسب وهو بهذا يؤدي إلى الخلط بين الأنساب، فلآثاره السلبية في الأسرة حرم في الإسلام، وأصبح أمر كثرة العيال أو إنجاب الذكور أو الإناث أو حتى العقم موكول إلى أمر الله تعالى.

النتائج

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى أن يكشف عن طبيعة العلاقات الأسرية في شتى صورها، واستندت في ذلك إلى الأمثال بصفتها صورة معبرة عن الشعوب، ولأنها مستقاة من الواقع الاجتماعي فهي صادقة دون تصنع ولذلك فهي أوثق من باقي النماذج الأدبية ويستطيع الباحث أن يحدد أهم النتائج التي توصل إليها فى ما يلى:

عند استعراضنا للأمثال لاحظنا أن من الأمثال ما يقابلها من مثل أو أمثال يناقضها، وهذا التناقض مرتبط بطبيعة المواقف والآراء، وتنوع وجهات النظر بين الفئات المختلفة في المجتمع، واختلاف

الزمن والتاريخ، والتناقض ميزة إيجابية للأمثال حيث تخدم الإنسـان وهو في بحث دائم عن بدائل يتبع إحداها للهروب من ضائقته.

منذ العصر الجاهلي وضع العربي حياته الاجتماعية نظما وأصولا التزموا بها ولم يرضوا لحياتهم أن تكون فوضى وعبثاً، فنظام الزواج كان قائما على أعراف وتقاليد معينة، هي الخطبة والمهر والتكافؤ، ولم تكن عملية الزواج بهدف سد الشهوة فحسب؛ بل تدخلت أسباب ودوافع أخرى تدفع الرجل للتقدم للخطبة والزواج، ومنها الفوز بالحسب والنسب والمصاهرة الاجتماعية والمقاربة بين القبائل والأسر العربية، وهناك خطوات تتم قبل إتمام عملية الزفاف، كعملية الاختيار وأسسها، والتقدم لخطبة الفتاة وتقديم المهر.

فضل العرب زواج الأباعد في حالات قليلة ومحددة، منها أن تكون القبيلة الأخرى أكثر شرفا منهم، أو لتقوية العلاقات ونبذ خصومة ولاعتقادهم أن زواج الأباعد أنجب وأصبح للولد، أو كون الخاطب شاعراً أو عالما بعيون الماء فعندئذ يرحبون به كصهر لهم.

مكانة "القبيلة" من ناحية العرق وأصالته، ووجاهتها الاجتماعية ودرجة شرفها ورفعتها، ساهمت أيضاً في تشكيل المجتمع العربي وخطوات الزواج فيه، فقبول الزوج وتقدمه لأسرة فتاة ما، كان لابد له من تحقق عنصر "الكفاءة"..

أمثال الميداني تكشف لنا أن المجتمع الجاهلي لم يكن صارما في نظامه بالصورة التي صورها لنا الأدب وإنما كانت هناك بعض المرونة في نظامه فوجدنا امرأة تقيم على خطبة زوجها، وتختاره لوسامته وفروسيته، وأخرى تعلن رفضها لمن تقدم لخطبتها دون خشية من رد فعل أبيها، وأب من أشراف العرب يرفض قبول المهر والصداق لأن مكانته أرفع وأغلى من المال.

كشفت لنا الأمثال ومواردها شيوع الخيانة الزوجية خاصة في الجاهلية، لأسباب عدة، منها: هجر الرجل زوجته بلا خبر لسنوات متتالية، والفرق في السن بينهما، وانعدام الوازع الديني ولذلك كان العرب يتمنون المرأة الوفية ويعظمون من شأنها.

كان العربي في سباق مع الزمن ليزيد عدد أولاده، ووجدنا في الأمثال أن أكثرهم فضل الذكور على الإناث، لأسباب حربية واقتصادية ومعيشية، وطمعهم في الاستقواء بالذكور في الحروب، ومعونتهم على أعمال التجارة والرعي، وكرهوا الإناث خشية الفضيحة، ولأنها لا تقوي على الحرب، وأيضا لأنهم يتعبون في تربية البنات ونفقتهن، ثم يأتي أحدهم ليأخذها منهم ولولا المهور وما تجلبه من أموال للأب لانقرضت بنات العرب بسبب الوأد.

كشــــفت الأمثال عن بعض من الآباء الذين يحبون بناتهم، ويدللونهن ويهتمون بهن، ويأخذون مشـــــورتهن، ويحنون عليهن ويعـاملونهن بلطف ورفق، وحتى بعـد زواجهن يمر عليهن ليطمئن على أحوالهن، والأب هو المثل الأعلى والســـند الرصـــين عند البنت، فتتمنى أن تتزوج بمن مثله. كشــفت الأمثال أن نظام الأسـرة العربية نظام أبوي، والأب هو العمود الفقري للأسـرة، فهو من يرعى ويحمي أسـرته ويتحمل مشـاق السـفر لتأمين معاش لأسـرته، ورغم الاختلاف في درجات الحنان والقسـوة في التعامل مع أهله، يبقى الأب كيانا تقوم عليه الأسرة.

كثرة الأمثال في موضـــوع اهتمام الوالدين بالأولاد، وتلتها في موضـــوع اهتمام الأولاد بالوالدين، تنبئ على أنه على مر العصـــور كانت عاطفة الوالدين تغلب على عاطفة الأولاد، كما هو الحال في واقعنا المعاصر.

اقتضت ضرورة حياة الصحراء أن يتمسك الرجل بأقاربه وبني عمومته، بل وأن ينصرهم ظالمين أو مظلومين، لأن ذلك هو الضمانة الوحيدة لحياة الصحراء التي لم يكن فيها أمان لمن لا عصبة أو قرابة له، أن العم وأبنائه، سند رصين في الحماية والنصرة في الحروب والغارات وأخذ الثأر، فكان على الرجل أن يتحمل سخافات أقربائه، وأن يهاديهم ويجزل لهم العطاء حتى يسترضيهم.

علاقة الخؤولة والأخوال لم تكن أقل شـــأنا من علاقة العمومة، وأحيانا كانت أرفع منها، فكان الفخر بالأخوال، ، عند العرب، ورغم أن الفخر بالأعمام هو الأصـل، إلا أن المعايرة بخسـة الأخوال كان لا يطاق عند العربي، ولذلك كان اختيار أهل الزوجة هو أهم من اختيار الزوجة نفسها.

بما أنّ النسب الأبوي عند العرب كان هو الأشد والأقوى من الانتساب للأم والأخوال، فكان من المنطقي أن تكون العمة هي الأقرب للأبناء من الخالة، وكانت بمثابة الامتداد الأبوي للأبناء، في حين أتت الخالة في منزلة أدنى من العمة، لكنها بما أنها مثلت امتدادا لحنان وتدليل الأم نكشـــفت الأمثال أن الخالة تميل أكثر لأولاد أختها، وكأنها تغار من زوجة أخيها وأولادها.

قلّة الأمثال الموجودة في موضـــوع الإبنة وخاصـــة الأخت يدلّ على أن الإناث حريم للعربي، فعلاقاتهن أيضـا في إطار محظور فلا يفصـح عنها، وربما يراد أن يثبت أن الذكر أعلى منزلة من الأنثى في المجتمع القبلي.

تكاد تكون الإشـــارات إلى الزواج وتقاليده في مجمع الأمثال مكتملة ووافية بحيث أنها غطت كل جوانب الأمثال ومواردها فقد وجدنا إشـــارات إلى تقاليد العرب في الخطبة والمهر وإهداء العروس، وعادة التجمير للعريس، ولبس الثياب الجديدة، ووضـــع العطر والطيب، وعادة البدويين في تحضـــير

الإناث لابنتهم وحتى بناء البيت ورفع الخيمة للعريس، وتفانيهم العنصرية في حفلة الزفاف، وكون العربي في الأسبوع الأول من الزواج كأنّه ملك، والتزام العروس ببقائها في البيت في أسبوعها الأول من الزواج عملاً بالعرف الجاهلي.

المصادر والمراجع

قرآن الكريم

ابن الأثير، أبوالحسن على بن عبدالواحد. (۱۹۹٤م). *أسد الغابة فى معرفة الصحابة*. بيروت: دارالكتب العلمية

ابن سيده، على بن اسماعيل. (۱٤۲۱م). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت:دارالكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (۱٤۱۱هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

الآبى، منصور بن حسين. (۲۰۰٤م). *نثر الدر فى المحاضرات*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأزهرى، محمد بن أحمد. (۱٤۲۱هـ). *تهذيب اللغة*. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

البلاذرى، أحمد بن يحيى. (۱۹۷۹م). *أنساب الأشراف*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

الترمانينى، عبدالسلام. (۱۹۹٦م). *الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام*. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون.

توفيق، محمدأبوعلى. (۲۰۱۲م). *صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية فى كتب الأمثال*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

الثعالبى، أبومنصور. (۱۹٦٥م). *ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب*. القاهرة: دارالمعارف.

الزبيدى، محمد. (۱٤۱٤م). *تاج العروس*. بيروت: دارالفكر.

الزمخشرى، أبوالقاسم. (۱۹۸۷م). *المستقصى فى أمثال العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزويد، هدى بنت فهد محمد. (۱۹۹۹م). *التطور التاريخى للأسرة فى الحجاز فى القرنين الأول والثانى الهجريين*. الرياض: دار ملك عبدالعزيز.

المرزبانى، محمد بن عمران (۱۹۹٥م). *الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء*. بيروت: دارالكتب العلمية.

الميدانى، أبوالفضل. (۱۹۹٥م). *مجمع الأمثال*. بيروت: دار المعرفة.